

السير و التراجم في الرحلات الجزائرية القديمة (نماذج مختارة)

Bioraphies and Narraives in early Algerian ravel wriings(Selected models)

كريمة صنهاوي

جامعة العقيد أحمد درايعية أدرار

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-01-09

تاريخ الاستلام: 2025-11-03

المخلص :

يظهر التداخل بين أدب السيرة الذاتية و الغيرية (التراجم) في ذلك التمازج بين السرد الشخصي للمؤلف الذي يذكر حياته و أحواله الخاصة و العامة ، أو يذكر حياة غيره من المشاهير ، و بين السرد الذي يذكر فيه تنقلاته و تجاربه الخاصة في رحلة أو عدة رحلات .

و بالرغم من أن الفروق واضحة بينهما - و بقوة - إلا أن التداخل يحصل حينما يذكر الكاتب محطات كثيرة من رحلاته و هو يتحدث عن سيرته الذاتية . أو العكس ، حينما يعرض لجوانب كثيرة من سيرته الذاتية أو سيرة غيره و هو يشارك القارئ تجاربه الشائقة في رحلاته المختلفة . و النماذج لمثل هذا التداخل متعددة شرقا و غربا ، و لكننا فضلنا تسليط الضوء على الرحلات الجزائرية القديمة و اخترنا الأشهر منها كرحلة ابن حمادوش و ابن عمار و المقرئ .

Summary :

The overlap between autobiographical literature and biographical literature (biographies) appears in the mixing of the author's personal narrative, where they mention their own private and public life and circumstances, or mention the life of other famous people, and the narrative where they mention their travels and private experiences in one journey or several journeys.

Although the differences are clear—and strongly so—the overlap occurs when the writer mentions many stops or stages of their travels while speaking about their autobiography. Or the reverse, when they present many aspects of their own biography or the biography of others while sharing their interesting experiences from their various travels with the reader.

Examples of this overlap are numerous in the East and West, but we preferred to shed light on old Algerian travelogues and chose the most famous among them, such as the journeys of Ibn Hammadouche, Ibn Ammar, and Al-Maqqari.

الكلمات المفتاحية : الرحلة – السيرة – التداخل – الترجمة – المقري – ابن حمادوش – الجزائرية – القديمة

Keywords: journey – biography – overlap – translation – Al-Maqri – Ibn Hamadush – Algerian – ancient

مقدمة :

يحدث التداخل بين السيرة الذاتية و أدب الرحلة عندما يمزج الكاتب بين سرد تجربته الشخصية وتجاربه في السفر عبر الأماكن المختلفة ، و غالبا ما تتضمن الرحلة جوانب من سيرة كاتبها ، و قد تصبح جزء من مسار حياته . هذا بالرغم من أن السيرة تركز على حياة الشخص و تحدياته الداخلية ، و يركز أدب الرحلة على وصف الأماكن الخارجية و العادات و التقاليد و الثقافات .

طالما كانت الرحلة فرصة لصاحبها تمنحه الوعي بذاته و معرفة الآخر ؛ فالرحالة بعيدا عن وطنه يتعرض لشتى أنواع التجارب و المغامرات و يبني من خلالها معرفة بغيره و تميزا لذاته ، كما أنها ذات قيم مختلفة : علمية عند طلب العلم و السعي لاكتسابه من مشاربه المختلفة و دينية لأداء فريضة الحج و غيرها من المناسك الدينية و اقتصادية و تجارية و غيرها ... (جبور عبد النور . المعجم الأدبي . دار العلم للملايين)

و للرحلة معان كثيرة ؛ فهي من السير و الترحال و التنقل ، و قد وردت اللفظة في معجم لسان العرب لابن منظور كالآتي : « رحل الرجل إذا سار ، و رحل رحول و قوم رحل : يرتحلون كثيرا . و رجل رحال ، عالم بذلك و مجيد له » (ابن منظور . لسان العرب . ج 11 . دار صادر بيروت ص 276) .

و لطالما عرفت الرحلة بأنها مصطلح جغرافي يقصد به ذلك المنتج الفني الذي يروم التنظير لأدبيات السفر و المسير . أو هي ذلك الخطاب الذي يتبع نشاط الرحالة و هو يجوب البلاد و يقطع المسافات إما عبرة أو استبصارا ، أو حجا و اعتمارا و ربما نزهة و استطلاعا أو طلبا للمعارف و العلوم أو سعي لاكتساب التجارة و العروض (خالد التوزاني . الرحلة و فتنة العجيب بين الكتابة و التلقي . ص 50 - 51) .

أما أدب الرحلة فهو الأدب الذي يصور ما يجري للكاتب من أحداث ، و ما يصادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لبلد من البلدان . و لهذا فإن كتب الرحلات هي من المصادر الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية لأن

الكاتب يستقي المعلومات و الحقائق من المشاهد الحية و التصوير المباشر مما يجعل قراءتها ممتعة و مسلية (. أحمد مهدي محمد الشويخات و آخرون . الموسوعة العربية العالمية ج 11 . ص 141)

أنواع الرحلات الأدبية :

تنوعت الرحلات بتنوع مقاصد أصحابها و نواياهم و الوجهة التي يختارونها فكانت كالآتي :

1 - الرحلة الحجازية : هي من أهم الأنواع التي عرفها العرب قديما و حديثا ، و هي رحلة لأداء فريضة الحج و الباعث الأكبر فيها هو زيارة الأماكن المقدسة مكة و المدينة و المسجد الأقصى أيضا ، فيسجل الرحالة ما يشاهدونه طوال رحلتهم تلك و في الغالب يصوغون ذلك في قوالب أدبية فنية و مثل هذه الرحلات يكون بمثابة السجل الذي يحمل الكثير من أخبار البلدان التي زاروها في مختلف الجوانب التاريخية و الجغرافية و الاقتصادية و الدينية و الثقافية (نوال عبد الرحمن الشوابكة . أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ص 75)

2 - الرحلة العلمية : كثيرا ما كان النحاة و اللغويون يشدون الرحال طلبا للعلم ، و كذلك رواة الشعر من أجل قضية لغوية تؤرقهم و يهتمهم حلها . كما كان الكثير من المحدثين و الصحابة يسافرون من أجل التحقق من سند أو غيرها ...حتى أصبحت الرحلة فيما بعد شرطا لازما لطالب العلم (علي إبراهيم الكردي . أدب الرحلة في المغرب و الأندلس . ص 1) و قد ذكر ابن خلدون هذا و عبر عنه قائلا : « فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ و مباشرة الرجال » (فؤاد قنديل . أدب الرحلة في التراث العربي . القاهرة ، الدار العربية للكتاب 2002 . ص 20)

3 - الرحلة السياسية : في العادة كان القدماء يركزون فيها على تدوين أخبار الحكام و السلاطين ، و كذلك نقل شؤون الدول في مختلف المجالات كشؤون الحرب و السلم و غيرها-(فؤاد قنديل . أدب الرحلة في التراث العربي . ص 20)

4 - الرحلة السياحية الثقافية : و تكون في الغالب من أجل التنقل لتغيير الأجواء و الاطلاع على المناظر و اكتساب الخبرة بالمسالك و الطباع (-أدب الرحلة . ص 20)

يتضح إذن أن للرحلة دورا قويا في التواصل بين الشعوب و المجتمعات ، بل في تحقيق العديد من الأهداف و قد أجمل الباحث فؤاد قنديل ذلك في النقاط الآتية :

- الرحلة سبيل للتواصل بين الشعوب -

- تحقيق المكاسب العلمية و الأدبية و بخاصة حينما يكون الرحالة متمتعاً بقوة الملاحظة و شهوة التطلع و يقظة الحواس

- تقديم خدمات كبرى لعلم الجغرافيا ؛ فقد كان الرحالة في وصفه للمسالك و الممالك معينا للجغرافي و هو ذو نفع كذلك للمؤرخ و لعالم الاجتماع و الأديب و السياسي ...

- تحقيق القيمة الأدبية من خلال ما يعرض فيها من أساليب ترفعها إلى عالم الأدب و ترقى بها إلى مستوى الخيال الفني (. فؤاد قنديل . ص 23)

و الرحلة قديمة قدم الإنسان ، و قد لعبت دورها في الكشف الجغرافي ، فقد يحصل معها الاتصال بين الشعوب و اكتساب المعرفة بالآخر خصوصا فيما يتعلق باللغة بالعادات و التقاليد و قد برز الرحالة أدباء حين زحرت مادة رحلاتهم بالعناصر الأدبية ؛ فاستعمل مصطلح أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين و غيرهم من الذين يصفون الأقوام و البلدان و يذكرون أحداث تجوالهم و دوافع رحلاتهم ..(د هدى عبد الغني إبراهيم باز . الخصائص الأسلوبية لأدب الرحلة . بين رحلتي ابن بطوطة و أنيس منصور ، جامعة القاهرة . مجلد 82 . عدد 8 أكتوبر 2022 ص 253

. إن الرحلة حسبما يراها الدكتور حسني محمود حسين منابع عميقة لمختلف العلوم ، و هي سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة و مفاهيم أهلها على مر العصور ؛ فالرحالة و هو يطوي الأرض أثناء رحلته يعطي في الوقت نفسه ملاحظة مظاهر مختلفة عن الحياة . و مهما اختلف الرحالون في دقة ملاحظاتهم و في درجة اهتمامهم و في صدقهم و أمانتهم ، مهما كان هذا إلا أنه يمكن تحديد قيمتين بارزتين للرحلة و هما كالآتي :

القيمة العلمية : لما تحتويه معظم الرحلات من الكثير من المعارف الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية و غيرها

القيمة الأدبية : و تتمثل فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب و ترتقي إلى مستوى الخيال الفني .(د حسني حسن محمود . أدب الرحلة عند العرب)

و هكذا كان حال الرحلة عند الجزائريين ؛ و قد عرفها الأدب عندهم كفن من فنونه و فرع من فروع المعرفة ؛ فساهم العديد من الرحالة الجزائريين بإثرائه و التعريف به و مارسوه مشافهة و كتابة خاصة ما تعلق بالرحلات الدينية و قد اشتهر في هذا المجال أبو راس المعسكري و أحمد بن عمار و ابن حمادوش و الورتلاني و غيرهم .و تعتبر رحلة المقرئ إلى المشرق و المغرب أقدم رحلة في الأدب الجزائري كما أشار إليه العديد من الدارسين و منهم الباحث الطيبي بوعزة و أشار إلى أن الرحلة الحجازية هي الرحلة الأكثر شهرة عند الجزائريين و تهدف إلى أداء مناسك الحج في المقام الأول أو إلى طلب العلم كرحلة أبي راس المعسكري المعروفة بفتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته (الطيبي بوعزة . أدب الرحلة في النقد الجزائري الحديث ، مجلة أبحاث المجلد 6 . العدد2 جويلية 2020 ص 129)

أما فن السير فهو فن يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير ، فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة أو الترجمة ، و يفصل المنجزات التي حققها و أدت إلى ذبوع شهرته و أهله لأن يكون موضوع دراسة (جبور عبد النور . المعجم الأدبي ... ص 143). أما أنيس المقدسي فيعرف فن السير بأنه : « نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي و الإمتاع القصصي ، و يراد به درس حياة فرد من الأفراد و رسم صورة دقيقة لشخصه » (أنيس المقدسي . الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ص547). و فن السير عريق عرفته العرب قديما . و عرفه الجزائريون أيضا ؛ إذ ترجموا للعديد من الشخصيات الشهيرة كالمملوك و الأمراء و قادة الحروب و أبطالها و غيرهم ... و ترك لنا تراثهم العديد من المؤلفات في أدب السيرة بنوعيه :

السيرة الذاتية : و هي كما عرفها صاحب المعجم الأدبي كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه و هو يختلف مادة و منهجا عن المذكرات و اليوميات . (. المعجم الأدبي . ص 143)
السيرة الغيرية : و هي التي يتحدث فيها المؤلف عن شخصية مميزة ، فيذكر أعمالها و إنجازاتها و أمجادها

و يجدر بالذكر أنه في العديد من الأحيان تتداخل الرحلة مع السيرة الذاتية ، و يتجلى ذلك في أن كلاهما يجمع بين السرد و التوثيق الذاتي ، مع بعض الاختلاف المتمثل في أن السيرة تركز على الذات ككل بينما الرحلة تركز على تجربة السفر الخارجية كحدث محفز للسرد الذاتي، و أحيانا تتداخل هذه العناصر فلا يمكن الفصل بينها حيث يمكن للرحلة أن تستدعي عناصر السيرة الذاتية، كما يمكن للسيرة الذاتية أن تتضمن تفاصيل من تجارب الرحلات كأحداث محورية فيها و قد تحدث عن هذا الأمر كثيرا الباحث محمد عزلاوي في يتناولون في رحلاتهم تلك المراحل التي يقطعونها ، و المناظر التي يرونها و الحوادث التي يتعرضون لها ... و لكن إضافة إلى ذلك فهم يتحدثون عن كثير من سلوكياتهم و تجاربهم الشخصية الذاتية مما يجعل هذه الرحلة تلتقي في كثير من جوانبها مع السيرة الذاتية .
و ضرب أمثلة لذلك العديد من الرحلات المغربية القديمة كـ "الرحلة المغربية" لأبي محمد العبدري ت 658 هـ و رحلة "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة و طيبة" لابن رشيد السبتي ت 721 هـ و هي رحلة في طلب العلم ؛ ذكر صاحبها ما لاقاه في طريقه لطلب العلم ، و ما حصل عليه من إجازات و ما دار معه في مجالس العلم من محاورات و مناظرات ، فغلب على هذه الرحلة طابع السيرة الذاتية (محمد عزلاوي . التوليف بين الرحلة و السيرة الذاتية . . مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، عدد 16 - 2012 - ص 40 - 41)

و لعل ما يلفت الانتباه أكثر في بحث محمد العزلاوي هو إشارته الدقيقة إلى أن من أكثر الرحلات التي برز فيها الجمع و التوليف بين الرحلة و السيرة الذاتية هي رحلة ابن خلدون في كتابه الشهير " التعريف بابن خلدون " و كتاب يتحدث فيه عن رحلته شرقا غربا ، و بالرغم من أنه عبارة عن ترجمة ذاتية تروي قصة حياته إلا أنه ركز فيه كثيرا على جوانب متعددة من رحلاته بين الغرب و الشرق ؛ و قد ذكر فيه كل ما يتعلق بسلفه و أجداده وشيوخه ووظائفه و تجاربه القاسية أثناء رحلاته و كل ما جرى له من محن عديدة . و تحدث عن موت عائلته غرقا ... و انعزاله للسياسة و تفرغه للعبادة و التأليف و زيارة البيت الحرام (. المرجع نفسه . ص 43)

. لذلك فإن أهم ما قيل في الكتاب : إنه كتاب ينسب إلى أدب الرحلات كما ينسب إلى أدب السيرة الذاتية ، و ما فيه من أدب الرحلات أدنى مما فيه من أدب السيرة الذاتية (صالح المغربي . الترجمة الذاتية و فن الرحلة ، حوليات الجامعة التونسية عدد 10 ، 1973 . ص 73) . و إلى جانب التعريف لابن خلدون ألف ابن الخطيب كتابه " الإحاطة " و هو كتاب يجمع بين الرحلة و المذكرات الشخصية ؛ فترجم فيه لنفسه و ذكر جوانب كثيرة من حياته عبارة عن مواقفه الذاتية و تجاربه النفسية ... (. التوليف بين الرحلة و السيرة الذاتية . ص 42)

إن السيرة كما عرفها فيليب لوجون : « هي حكي استعدادي نثري ، يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص و ذلك عندما يركز على حياته الفردية و على تاريخ شخصيته بصفة عامة » (فيليب لوجون . السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، ص 22 - 23)

. و ربما هو ما يجعل حضورها أمرا ضروريا في الرحلة باعتبارها النسق الذي يربط أواصرها و يجعل أجزاءها تلتحم (. نادية موتن ، عبد العزيز بومهرة . تتداخل السيرة الذاتية و النص الرحلي ، ص 191)

إن مثل هذا التداخل العجيب بين الجنسين الأدبيين السيرة و الرحلة بدا واضحا و بقوة في العديد من الرحلات الجزائرية القديمة ، و إن كانت في غالبها حجازية ؛ بمعنى نحو الحجاز إلى البقاع المقدسة بدافع الحج . و أحيانا أخرى كانت بدافع طلب العلم و يجمع أغلب الباحثين أن رحلات الجزائريين كانت قليلة مقارنة بغيرهم من المغاربة و لم تزدهر كثيرا إلا في العهد العثماني كرحلة المقرئ "إلى المشرق و المغرب " و رحلة ابن عمار "نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب" و رحلة أبي راس الناصر "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار" و كذا رحلة ابن حمادوش " لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال " و كلها رحلات جمعت بين السيرة و الرحلة ، وورد في بعضها تراجم للعديد من الشخصيات و هو ما سنحاول عرضه في ورقتنا هذه :

- رحلة المقرئ إلى المشرق و المغرب :

المقري هو أحمد محمد يحي بن عبد الرحمن بن أبي يعيش أبي العباس المقري التلمساني القب بشهاب الدين (986 هـ - 1041 هـ) تنقل كثيرا في حياته لطلب العلم داخل الجزائر و خارجها . له العديد من المؤلفات أهمها : روضة الآس العاطرة الأنفاس - أزهار الرياض و نفح الطيب . أما رحلته بين المشرق و المغرب فهي رحلة جمع فيها بين العديد من البلدان شرقا و غربا مثل الجزائر ، تونس ، المغرب غربا و مصر و الشام و الحجاز شرقا و ذكر فيها كل ما وقعت عليه عيناه من أماكن زارها ، ووصفا الأشخاص الذين رآهم و في هذا . و هي متضمنة في كتابه "رحلة المقري إلى المشرق و المغرب" و كتابه "نفح الطيب" يقول الباحث لخضر سعيد بلعربي: « و على العموم فإن رحلة المقري هي سجل لحياته الشخصية و لسير من ذكرهم في الجزائر و سائر البلدان التي شملتها رحلته . كما أن هذه الرحلة صورة للأوضاع السياسية والاجتماعية و الاقتصادية في عصره ، فالكاتب كان لا يتوانى عن تسجيل ما يصادفه في طريقه بكثير من الدقة و التفصيل . كما أن لرحلة المقري قيمة أدبية لما تضمنته من النصوص الأدبية الشعرية و النثرية ؛ فقد استشهد في رحلته بأشعاره و أشعار غيره ، و أشار إلى ما كان بينه و بين كثير من أعلام عصره في البلدان المختلفة من تخاطب و تراسل و دعاية أدبية » (لخضر سعيد بلعربي . فنون النثر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني . دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم ص340)

إن أهم ما تضمنته هذه الرحلة هو ما يتعلق بالحياة الشخصية للمقري من ذلك ما يخص زوجاته و أبناءه ؛ فقد ذكر محقق كتاب الرحلة إلى المشرق و المغرب أن المقري تزوج بثلاث نساء و ليس باثنتين كم يذكر أغلب من ترجموا له . و النسوة إحداهن مغربية بنى عليها و هو في رحلته إلى المغرب و الأخرى مصرية في رحلته إلى المشرق و الثالثة من تلمسان . و تشير نصوص رحلته إلى أنه رزق بأولاد ذكور أو بالأحرى ولد ذكر رزق به من زوجته المصرية اسمه محمد المكي وردت الإشارة إليه في ثلاثة مواطن من الرحلة . و رزق ببنتين إحدهما من الزوجة المغربية و قد عاشت حتى كبرت و تزوجت . و الأخرى بنت المصرية و قد توفيت و هي صغيرة (أبو العباس المقري . رحلة المقري إلى المشرق و المغرب . ص 10) . و مما ورد في كتاب الرحلة من أمور زواجه و التعازي التي أرسلت له ما يأتي :

التهنئة بزواجه :

و يقصد به تلك التهنة بزواجه و التي بعث له بها صديقه عبد الرحمن بن عسى بن مرشد . يقول : و كتب لي مهنيا بالتزوج ، حفظه الله ما نصه : الحمد لله :

سلام مشوق للحقوق	يراعي يبلغه عنه لسان يراع
سلام كنثر الروض باكره الحيا	فضاع و ما ذا الفعل فعل ضياع
إلى سيد أضحى بمصر و صيته	له في نواحي الأرض أي شياع
إلى عالم راض العلوم جميعها	و أتقنها إتقان من هو واع
يهنيه عني بالذي عم نشره	و شنف مني السمع عند سماع
قران سعيد فيه شمس الضحى	غدت قرينة بدر في بروج قناع

المصدر نفسه . ص 230

ذكر موت ابنه و تلقي العزاء فيه :

و في موضع آخر من الرحلة يذكر المقري ابنه أحمد المكي و يذكر رسالة التعزية التي بعثها له فيه صديقه ابن المرشد و سبق الذكر أن أحمد المكي هو الابن الوحيد الذي رزق به المقري- و يشير المحقق إلى أنه تم ذكر هذا الولد في ص 116 و 187 من هذا الكتاب و يقصد به الكتاب الذي حققه "كتاب الرحلة إلى المشرق و المغرب" يقول : « الحمد لله ، و مما كتبه لي مولانا الشيخ عبد الرحمن المذكور معزيا عن ولدي محمد المكي جعله الله في الميزان ما صورته : الحمد لله طوى المسافة حتى جاءني خبر فزعت فيه لا مالي إلى الكذب حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي . يا من يعز علي أن أكتبه بعزا و يشق بي لولا إقامة السنة أن أخاطبه بتسلية مصاب عظم له فيه الأجر و الجزا فإذا ذكرت محمد و مصابه ، فاذكر مصابك بالنبي محمد ، فما المال و الأهلون إلا ودائع و المذخور منها عند الله غير ضائع فالله تعالى يلهمك الرشد و يعوضك خيرا من الولد و قد أذهلني خبر هذا المصاب» - (نفسه . ص 225)

ذكر ابنته و التهنة بمولدها : و قد جاء في مقدمة المحقق أنها البنت التي تركها في مدينة فاس حين رحل إلى المشرق و مات دون أن يلتقي بها و كان شديد الحزن عليها ، كثير الشوق إلى رؤيتها ، و قد بعث برسالة من القاهرة إلى شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بالمغرب سنة 1041هـ يطلب منه الإشراف على تزويجها لأنه تعذر عليه الرحيل إلى المغرب و تولي ذلك بنفسه . (رحلة المقري إلى المشرق و المغرب . ص 188)

أما المقري فيقول في هذا المقام : و مما خاطبني به بفاس سنة 1026 هـ صاحبنا الفقيه
 أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي الفاسي الشهير بالشامي يهنييني ببنت ولدت لي ما نصه
 يا بدر تم العلم دم نيرا
 وا هنا بذى الشمس التي أصبحت
 تقنيس الأعلام من محفلك
 أنوارها تلتاح في منزلك
 وابشر ببدر طالع بعدها
 يكمل الأرب مما ملك
 (نفسه ص 18)

التراجم في رحلة ابن عمار :

رحلة ابن عمار رحلة دينية تعرف باسم نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب و كتبها
 أثناء تأديته للحج . و هي رحلة ضاع معظمها و لم يبق منها إلا مقدمتها التي تشتمل على
 أشعار كثيرة في وصف شوقه إلى البقاع المقدسة ، و وصف عادات أهل الجزائر و تقاليدهم
 ، و كثيرا من الأخبار و الطرائف الأدبية كما ضمنها تراجم لمجموعة من الأدباء ، و طائفة
 من أشعارهم في موضوعات مختلفة من باب الاستطراد (فنون النشر الجزائري في العهد العثماني . ص
 343). و من أهم الشخصيات التي ترجم لها ابن عمار كما أورده صاحب التحقيق ما يأتي :

الترجمة للشريف التلمساني : و هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي الشريف
 الإدريسي التلمساني و قد خصه ابن عمار بترجمة وافية ، و ذكر أقوال العلماء فيه . و مما جاء
 من الترجمة التي خصه بها ما يأتي : « و في دولته كان الإمام المتقن البحر الحبر شريف العلماء
 و عالم الشرفاء أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم بن حمود من
 سبط إدريس بن إدريس ، فكان له محبا معظما و به حفا ، و كان وحيد عصره دينا و علما و نقلا
 و عقلا . انتفع الناس به حيا و و بتصانيفه ميتا . فكان يوجهه للرسائل في الأمور في الأمور
 المهمة و ليلتمس بركات بيته الشريف في كشف الخطوب المدلهمة ، و له بنى مدرسته الكريمة
 حين توفي والده أبو يعقوب بالجزائر في شعبان سنة ثلاث و ستين و سبعمائة ... » . (ابن عمار .
 نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب . دكتوراه في تحقيق المخطوطات ص 90 .)

2 - الترجمة للسلطان الأديب أبي حمو موسى الزياتي : و أبو حمو موسى الزياتي كان

سلطانا متفردا و أديبا متوقدا ، شديد البأس و اللسان ، تسنم ذروة المجد بكل جدارة في وقت

كان يصطرح فيه المرينيون و الزيانيون حول حدود الملك بينهما ، فمكنه إصراره من إحياء مجد الدولة الزيانية التي ظل عرشها أزيد من ثلاثين سنة . كان شخصية فذة و عبقرية قوية جمعت بين شيئين قلما يجتمعان في حاكم ؛ إذ إلى جانب السلطة ذاع صيته في مجال الأدب ، فنال بجدارة لقب السلطان الأديب (عبد الحميد حاجيات . أبو حمو موسى الزياني ، حياته و أثره. ص 22)

يقول ابن عمار : «... و كان يقرض الشعر و يحب أهله ، و له رحمة الله عليه و تعالى تأليف حسن في السياسة لخص فيه سلوان المطاع لابن ظفر و زاد عليه فوائد و أورد فيه جملة من نظمه و أمور أجرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين و غيرهم و صنفه برسم ولي عهده أبي تاشفين ، و سماه نظم السلوك في سياسة الملوك . و كان رحمه الله جواد سمحا و كثيرا ما كان أهل الأندلس يستمدونه فيمدهم ...» (ابن عمار. ص 431)

3 - الترجمة للأمير عبد الرحمن أبي تاشفين : يذكر ابن عمار أن أبا حمو موسى الزياني عمد إلى ابنه الأكبر و هو أبو تاشفين عبد الرحمن : « و أشركه معه في السيف و القلم و الطبل و العلم ، و كان علما من الأعلام الذين يقصر عن تحليلتهم الكلام . و قد قال فيه الفقيه ابن خلدون ما نصه : الأمير المعظم أبو تاشفين ، علم الكلام المنصور و روض الجمال المقصور ، و أسد الحروب الهصور ، و شرف الجحافل و القصور ، سبط الرسالة و بدر هذه الهالة و مظهر العلاء و الجلالة » (.نحلة اللبيب . ص 464)

لقد كان ابن عمار حريصا على الترجمة لغيره سواء في كتابه المفقود " لواء النصر في فضلاء العصر " أو في رحلته " نحلة اللبيب " و بقدر ما كان حريصا على الترجمة لغيره ، بقدر ما أهمل نفسه و لم يعمل على الأقل ما فعله زميلاه الورتلاني و ابن حمادوش اللذان ساقا حياتهما في رحلتيهما (نحلة اللبيب . ص 464) . إن ما أورده أبو القاسم سعد الله عن حذق ابن عمار و تضلعه في فن التراجم و بخاصة ما بسطه في رحلته يزيدنا إصرارا على القول إن ابن عمار هو فعلا من أحسن الرحالة الجزائريين الذين تفننوا في المزج بين الجنسين الرحلة و الترجمة ؛ فمن سوء حظ الباحثين - كما ذهب إليه الدكتور أبو القاسم سعد الله أن تراجم ابن عمار قد ضاعت و لم يبق منها سوى نتف مذكورة في رحلته نحلة اللبيب و جل مختاراته كانت على رجال العلم و الأدب و القضاء و الشعر ، و ليس عن أهل التصوف و الولاية ؛ فالأمثلة التي ساقها في نحلة اللبيب و منها حديثه عن ابن علي و أحمد

المنجلاتي تؤكد اهتمامه بالشعر و الأدب فكلاهما أديب و شاعر . و الواضح أن ابن عمار لم يقتصر في تراجمه على أهل الجزائر و حسب بل تجاوزها إلى غيرهم - (نفسه . ص 358)

التداخل بين السيرة الذاتية و الرحلة في رحلة ابن حمادوش :

تسمى هذه الرحلة ب : " لسان المقال في النبأ عن النسب و الحسب و الحال " و هي رحلة جمعت بين الغرض الديني و الغرض العلمي و ما وصلنا اليوم هو ما يتعرض لتتقل ابن حمادوش بين الجزائر و المغرب فعدت رحلة علمية ، و قد قسمت إلى ثلاثة أقسام بحسب موضوعها و هو ما يظهر التداخل الكبير بين رحلته و سيرته الذاتية . ووردت هذه الأقسام كالآتي :

القسم الأول : يتعلق بحياة الكاتب في المغرب الأقصى .

القسم الثاني : و يمثل حياة ابن حمادوش في الجزائر .

القسم الثالث : و هو ما استعرضه الكاتب من كلام غيره شعرا و نثرا ، و من إجازات و قصص و عقود - (أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي ج 2 . ص 352)

إن الغالب على هذه الأقسام هو استعراض ابن حمادوش لمواقف كثيرة من حياته في الجزائر أو في المغرب . و قد ناقش الباحث الدكتور علي حميداتو هذه المسألة في بحث مطول واقفا فيه عند رأي الدكتور أبي القاسم سعد الله إذ ينفي عن الرحلة طابع السيرة . و لكنه يناقض قوله برأي آخر يذهب فيه إلى أن لرحلة لسان المقال قيم كثيرة و أهم قيمة أنها مصدر لحياة المؤلف مما يعني أنه يثبت لها طابع السيرة الذاتية . (علي حميداتو . أدب الرحلة من السيرة الذاتية إلى المتخيل ، . مجلة علوم اللغة العربية و آدابها . عدد 14 ج 1 جوان 2015) . و أكثر ما يؤكد هذا التناقض أن أبا القاسم سعد الله نفسه يقول : « هكذا يتضح أنه بالرغم من بعض نقاط الضعف ، فإن رحلة ابن حمادوش تتمتع بقيمة نادرة كجزء من التراث العربي الإسلامي للجزائر و كمصدر لمعرفة الأحوال الاجتماعية و الثقافية و السياسية و كسيرة ذاتية للمؤلف ذاته » - (أبو القاسم سعد الله . الطبيب الرحالة ، حياته و آثاره ص 79) . أما علي بختي ، فيجيب على سؤاله عن جنس رحلة ابن حمادوش بأن كثيرا من الدراسات صنفت هذا العمل في نطاق أدب الرحلات ، لكنها أغفلت جانبا منها و هو ما يتعلق بأدب السيرة ، و بالرغم من تداخل أجناس أدبية كثيرة فيها يظل أدب الرحلة و أدب السيرة الذاتية يشكلان المحورين الأساسيين

لهذه المدونة (علي بختي . تمظهرات الذات في خطاب السرد من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري . مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية . مجلد 15 ، عدد 2 2022. ص 683 – 684) و ربما كانت البواعث لذلك كثيرة أهمها أن هذه الرحلة جاءت محفزة كثيرا لصاحبها ليكتب عن ذاته و تسجيل تجاربه التي عاشها في بلده و في جميع البلدان التي زارها .

إن ما ورد في الرحلة من محطات ذاتية شخصية لابن حمادوش ، يثبت مدى التداخل بينها و بين السيرة الذاتية من ذلك مثلا :

- 1 - تحدث عن عائلته (أمه و إخوته) و ذكر انقطاعهم عنه و عن مجالسته نظرا لانشغاله الكبير عنهم بالكتب قراءة و تأليفا يقول : « إلى يوم الاثنين السادس عشر من الشهر المذكور ، ابتدأت أسفر كتبي . و يوم الأربعاء ابتدأت أنسخ الدرر على المختصر من مبيضته شرحا عجيبا علّقه على مختصر السنوسي في المنطق إذا بأختي و أُمي و أخي في قلوبهم الضغائن ، فتحركوا للخروج من عندي » (لسان المقال . ص 114)
- 2 - ذكره لزوجته الثانية زهراء ، علاقته بها و كيف ارتبط بها ، و ذكره لزوجته الثانية فاطمة ابنة عمه و إيراده لصيغة عقد قرانه بها . يقول فيما سماه عقد نكاح بكر في الحجر : « و عليه عادة بلادنا ، و بمثله جرى العمل عندنا ، عقد لي في حداثة سني على ابنة عمي و صورته : الحمد لله ، تزوج على بركة الله و توفيقه المكرم الشاب عبد الرزاق بن الحاج محمد بن حمادوش مخطوبته فاطمة بنت عمه المكرم الحاج أحمد الدباغ ، البكر في حجره و تحت ولاية ناظره على صداق مبارك قدره ... » (نفسه . ص 241)
- 3 - ذكره لأولاده من زوجته الثانية ، و هما توأماء الحسن و الحسين ، و كيف توفي أحدهما و عاش الثاني . كما يذكر رسائل التهاني و التعزية فيهما . يقول : « و نزلت في حيني و دخلت داري في أول الساعة الثانية ، فوجدت عندي ولدين سيدي الحسن و سيدي الحسين ، ولدتهما زهرا زوجتي ، توأمين ، ولدتهما بعد نصف الليل.... » (نفسه . ص 114)
- 4 - المظاهر العامة التي توحى أنه عاش فقرا مدقعا ، سبب له الكثير من الشقاء في حياته إضافة إلى هذا ذكره لمرضه ، و لنوازع كثيرة حدثت له في حياته . من هذا ما جاء في قوله « ثم منعني المرض . كانت أصابتي حمى شديدة ، فلم أستطع القراءة ، حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كينة ، فاشتريتها بثلاثة موزونات » - (نفسه . ص 84)

و أخيرا ، فما يمكن قوله إن صعوبة التمييز - في العديد من الأحيان - بين الرحلة و السيرة الذاتية ، يثبت لنا فعلا أن التداخل بينهما عميق جدا ، و إذا كانت السيرة الذاتية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه و يسجل حوادثه و أخباره ، و يسرد أعماله و آثاره و يذكر أيام طفولته و شبابه و كهولته ، و ما جرى له من أحداث تعظم أو تضؤل تبعا لأهميتها (محمد عبد الغني . التراجم و السير . ص 23) . إذا كان هذا فالملاحظ أن الرحالة يقيم أغلب أفكار رحلته على ما حصل له من انطباعات شخصية ، و أخرى عامة ؛ بمعنى أن الرحالة حينما يعرض لذكر ما وقع عليه نظره و ما حصل معه من أحداث ، فإنه يعرض في أحيان أخرى كثيرة للحديث عن سلوكاته و تجاربه الذاتية .

المصادر و المراجع :

- 1 - جبور عبد النور . المعجم الأدبي . دار العلم للملايين بيروت ، لبنان ط2 . 1984
- 2 - ابن منظور . لسان العرب . ج 11 . دار صادر بيروت
- 3 -- خالد التوزاني . الرحلة و فتنة العجيب بين الكتابة و التلقي . الأردن ، دار الفارس للنشر و التوزيع 2017
- 4 - أحمد مهدي محمد الشويخات و آخرون . الموسوعة العربية العالمية ج 11 . المملكة العربية السعودية ، مؤسسة أعمال للنشر و التوزيع 1999
- 5 -- نوال عبد الرحمن الشوابكة . أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري . القدس ، دار المأمون للنشر 2008
- 6 - 2 - ينظر . علي إبراهيم الكردي . أدب الرحلة في المغربو الأندلس . مكتبة الأسد ، دمشق ، سوريا د ط 2013
- 7 - ابن خلدون . ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر . ضبط و توثيق خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ج 6 دار الفكر ، لبنان 2000
- 8 - فؤاد قنديل . أدب الرحلة في التراث العربي . القاهرة ، الدار العربية للكتاب 2002

- 9- هدى عبد الغني إبراهيم باز . الخصائص الأسلوبية لأدب الرحلة . بين رحلتي ابن بطوطة و أنيس منصور لجزيرة سيلان . مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة . مجلد 82 . عدد 8 أكتوبر 2022
- 10- د حسني حسن محمود . أدب الرحلة عند العرب
- 11- الطيبي بوعزة . أدب الرحلة في النقد الجزائري الحديث ، قراءة في إسهامات عبد الله الركبي و عمر بن قينة . مجلة أبحاث المجلد 6 . العدد 2 جويلية 2020 .
- 12 - جبور عبد النور . المعجم الأدبي .. ط 2 يناير 1984 دار العلم للملايين بيروت ..
- 13 - أنيس المقدسي . الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة ط6 جوان 2000، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- 14- محمد عزلاوي . التوليف بين الرحلة و السيرة الذاتية . الأدب المغربي القديم نموذجا . مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، عدد 16 - 2012-
- 15- صالح المغربي . الترجمة الذاتية و فن الرحلة ، حوليات الجامعة التونسية عدد 10 ، 1973 . .
- 16 - فيليب لوجون . السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، ترجمة : عمر حلي . المركز الثقافي العربي ط1 ، 1994 بيروت ، لبنان
17. نادية موتن ، عبد العزيز بومهرة . تداخل السيرة الذاتية و النص الرحلي ، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا لابن خلدون أنموذجا . مجلة المدونة مجلد 12، عدد 1 جوان 2025
- 18- فيليب لوجون . السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، ترجمة : عمر حلي . المركز الثقافي العربي ط1 ، 1994 بيروت ، لبنان
19. نادية موتن ، عبد العزيز بومهرة . تداخل السيرة الذاتية و النص الرحلي ، التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا لابن خلدون أنموذجا . مجلة المدونة مجلد 12، عدد 1 جوان 2025
- 20 - لخضر سعيد بلعربي . فنون النشر الأدبي في الجزائر على العهد العثماني . أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم إشراف الدكتور مختار حبار . كلية الأدب و الفنون ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران 2017 - 2018
- 21- أبو العباس المقري . رحلة المقري إلى المشرق و المغرب . تحقيق : الدكتور محمد بن معمر . منشورات مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا ، جامعة وهران . مكتبة دار الرشاد للطباعة و النشر ، الجزائر 2004
- 22 - ابن عمار . نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب . دراسة و تحقيق : عبد الجليل شقرون . رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تحقيق المخطوطات . إشراف الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف . كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان 2016 - 2017.

- 23 - عبد الحميد حاجيات . أبو حمو موسى الزياني ، حياته و آثاره . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع .
- 24 - أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي ج 2 (1500 - 1830) ط 1 دار الغرب الإسلامي 1998
- 25 - علي حميداتو . أدب الرحلة من السيرة الذاتية إلى المتخيل ، قراءة في رحلة ابن حمادوش . مجلة علوم اللغة العربية و آدابها . عدد 14 ج 1 جوان 2015 .
- 26 - أبو القاسم سعد الله . الطبيب الرحالة ، ابن حمادوش الجزائري حياته و آثاره (د ت) .
- 27 - علي بختي . تمظهرات الذات في خطاب السرد من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري . مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية . مجلد 15 ، عدد 2 2022. جامعة زيان عاشور ، الجلفة
- 28 - . محمد عبد الغني . التراجم و السير . دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 .